مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 343 - 356 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

المنهج التداولي في قراءة الخطاب التعليمي: نماذج من كتاب اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط

The deliberative approach to reading the educational discourse Samples of the reading book for the second year of intermediate education

ط.د/سارة عميرة[1] * / د/الحاج قديدح [2]
Sara Amira [1] / [2] Hajj Qadidah
مخبر اللغة وتحليل الخطاب
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل (الجزائر)
Mohammed Al-Siddiq Bin Yahya University-jijel/ Algeria
saraamr833@gmail.com [1] / hadj71@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/03	تاريخ القبول: 2022/10/16	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

من بين النظريات اللسانية التي لاقت استقطابا من طرف الدّارسين اللغويين النظرية التداولية، ونظرا لأهميتها في الدّراسات اللسانية الحديثة اقتضت الضرورة اختيار موضوع لساني يتمثل في مقاربة الخطاب ضمن حقل التعليمية، وتهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف مدى صلاحية آليات المنهج التداولي في تحليل الخطاب التعليمي التي ساهمت في إثراء الدّرس اللساني في تحليل الخطاب.

وما توصلنا إليه في نهاية هذا البحث مساهمة آليات التحليل التداولي في اكتشاف مضامين الخطاب التعليمي وتفكيك شفراته وأبعاده النصية التي أدت إلى عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي.

الكلمات المفتاحية: تداولية – تعليمية – منهج تداولي- خطاب تعليمي

Abstract :

Among the linguistic theories that have been attracted by linguistic scholars is deliberative theory, and due to its importance in modern linguistic studies it is necessary to choose a linguistic subject consisting of approaching discourse within the field of education, and this study aims to discover the validity of the mechanisms of the deliberative approach in the analysis of educational discourse that contributed to enriching the linguistic lesson in the analysis of speech.

At the end of this research, we found that the mechanisms of deliberative analysis contributed to the discovery of the contents of the educational discourse and the dismantling of its codes and textual dimensions that led to the process of communication between the speaker and the recipient.

* سارة عميرة saraamr833@gmail.com

Keywords: Deliberative- Educational- Deliberative approach- Educational letter.

مقدمة:

مع تطور وازدهار الدّرس اللساني الحديث بزغ تيار لساني جديد على الساحة اللسانية واللغوية أطلق عليه مصطلح التداولية pragmatics، اهتم بدراسة اللغة من خلال الاستعمال والسياق ولذلك يعد المنهج التداولي من أبرز المناهج اللسانية الحديثة التي اشتغلت على الخطاب ومقاصده بين المتكلم والمخاطب، ولهذا كانت له عدة تداخلات وتفاعلات مع عدّة مجالات، ومن أهمّ هذه المجالات التعليمية التي تسعى إلى إكساب المتعلم مهارات الكفاءة التواصلية التي يتواصل من خلالها المتعلم مع المعلم، ومن أبرز الخطابات التي عنيت بها التداولية وكانت محل اهتمامها الخطاب التعليمي.

يعدّ الخطاب التعليمي مسرحا خصبا للدّراسات التداولية لذلك يسعى المعلم إلى تبسيط الخطاب التعليمي بين المرسِل والمرسَل إليه، فهو القالب اللغوي الذي تصبّ فيه عملية التواصل والإقناع من خلال الخطاب التفاعلي بين أطراف العملية التعليمية الذي يقوم على ثنائية المتكلم والمتلقي، ولهذا وظفت التداولية إجراءات ومباحث لتحليل الخطابات والنصوص واكتشاف كنه مقاصدها في الخطاب التعليمي.

وهذا ما دفعنا إلى طرح الإشكالية الرئيسية بتحديد معالم البحث وأهدافه: ما مفهوم الخطاب التعليمي؟ وفيم تكمن آليات التحليل التداولي التي تمكننا من سبر أغوار الخطاب التعليمي؟ وكيف استفاد الخطاب التعليمي منها؟

وبذلك يكون الهدف من هذه الدراسة هو تحليل الخطاب التعليمي بواسطة آليات التحليل التداولي وقد قُسّم البحث إلى عدّة محاور أساسية هي عرض جهاز مفاهيمي لمفهوم التّداولية والتّعليمية، ومن ثمّ التطرّق إلى مفهوم الخطاب التّعليمي والوقوف عند آليات المنهج التداولي في الخطاب المدروس من خلال أخذ عينة من هذا الخطاب وإجراء هذه الدراسة عليه، تمثلت في دراسة نماذج من كتاب اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط.

أوّلا: التداولية:pragmatics

يعود أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي (**شارل موريس**)، وتشمل التداولية ثلاثة فروع متمثلة فيما يلي:[1]

1- علم التراكيب syntactics: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
2- علم الدلالة semantics: وهويدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أوتحيل إليها.
3- التداولية: pragmatics وهي تدرس علاقة العلامات بمفسريها.

وقد صرّحت **(فرانسواز أرمينكو)** أنّ التداولية «درس جديد وغزير إلا أنه لايملك حدودا واضحة...تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية»[2] أشارت أرمينكو في تعريفها للتداولية بأنها غير واضحة وذلك لتشعبها وغزارتها وتغلغلها في مجالات متعدّدة كالفلسفة واللسانيات.

أما **(فان دايك)** فيؤكّد على تداخلها مع مجالات عديدة بقوله «هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة له خاصية التداخل مع عدّة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا»[3]

وقد تطرّق كل من **آن (ماري ديير)** (Anne Marie Diller) و**(فرانسوا ريكاناتي)** (François Récanati) إلى تعريفها بأنّها:«استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدّد معناها إلا من خلال استعمالها»[4] فالتداولية تهتم بالمعنى من خلال الاستعمال؛ لأنها تقوم«بدراسة اللغة قيد الاستعمال أوالاستخدام language in use، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أوتراكيبها النحوية هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية»[5] أي دراسة اللغة أثناء الاستعمال والسياق بعيدة عن معناها اللغوي المعجمي الذي وضعت فيه؛ لأنّها «علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج، من ثمّ، مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره"»[6] وعموما فالتداولية«هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية»[7]

تعدّدت تعريفات هذا المصطلح ولكن أوّل من عرفه **(شارل موريس)** (Charles Morris) سنة 1938بقوله « إنّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[8] ومن هذا التعريف يتضح أن شارل موريس اعتبر التداولية جزءا من علم العلامات أو السيمياء لكنه لم يحدّد طبيعة هذه العلامات.

بالرغم من تعدّد التعريفات السابقة عند اللسانيين الغربيين إلا أنّ محمود نحلة اتخذ تعريفا جامعا مانعا للتداولية، ولعلّ أوجز تعريف للتداولية أقربه وضوحا لها هو«دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولايرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدّد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»[9] وهنا في هذا التعريف يتبين أن التداولية غير مقتصرة على المتكلم أوالسامع فقط بل تسعى وراء اكتشاف مقاصد المتكلم ومعانيه.

وبناء ممّا سبق يتبين لنا بالرغم من اختلاف وجهات نظر الباحثين والدارسين للتداولية لتعدّد مشاربهم إلا أنها تتفق على أنّ التداولية دراسة استعمال اللغة بغرض التواصل بين المتكلم والسامع.

ثانيا: التعليمية: didactics

لم يتفق اللغويون على مصطلح واحد للتعليمية، حيث يرى **محمّد الدّريج** أنّ هناك اختلافا بين مصطلحي التعلّم والتعليم، لذلك«لابد أن نميز في محاولتنا لتعريف العملية التعليمية بين ظاهرتين ظاهرة التعلم Learning وظاهرة التعليم Teaching ...نعني بالتعلّم (التحصيل) العملية التي يدرك الفرد بها موضوعا ما ويتفاعل معه ويستدخله ويتمثله، عملية يتم بفضلها اكتساب المعلومات والمهارات وتطوير الاتجاهات، في حين أنّ التعليم (التدريس) نشاط تواصلي يهدف إلى إثارة التعلّم وتحفيزه وتسهيل حصوله، إنه مجموعة من الأفعال التواصلية والقرارات التي يتم اللجوء إليها بشكل قصدي ومنظم، أي يتم استغلالها وتوظيفها بكيفية مقصودة من طرف الشخص أو مجموعة من الأشخاص الذي يتدخل كوسيط في إطار موقف تربوي - تعليمي»[10] فالتعلم يهدف إلى اكتساب المعلومات والمهارات أمّا التعليم فيهدف إلى إثارته وتعزيزه.

فالتعليمية يقصد بها كل فعل تربوي«يقوم به المعلم ويلقى استجابة لدى المتعلم، نتيجة استهداف مجموعة من الكفاءات المتوفرة عنده، ويتم هذا الفعل عن طريق الاستعانة بمجموعة من الطرائق والوسائط التعليمية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة، ولا تتضح هذه الأهداف إلا عن طريق إخضاع العملية بأكملها للتقييم وكذلك العنصر المسخر له هذه العملية وهو المتعلم»[11] فهي عملية قائمة على ما يقدمه المعلم للمتعلم عن طريق وسائط تعليمية بغية تحقيق أهداف مسطرة في الدرس التعليمي.

وعليه فهي الوضعية التي يتم فيها التواصل بين المعلم والمتعلم، وطبيعة الخطاب الذي يجري بينهما بالدراسة والتحليل أي «الوضعية التي يتمّ فيها إنتاج الخطاب الذي نتناوله بالدراسة والتحليل من خلال الأدوات العلمية التي استمدناها من المنهج التداولي»[12] وبذلك ينتج خطابا تعليميا يستلزم أقطاب العملية التعليمية لكي تتمّ عملية التواصل (المتكلم(المعلم)، المتلقي(المتعلم)، الرسالة التعليمية(الخطاب التعليمي)) فالتعليمية أوالديداكتيك هي المجال العلمي الذي تتفاعل فيه عناصر العملية التعليمية والتي تنتج بتفاعل المثلّث الديداكتيكي فهي« عملية ديناميكية قائمة أساسا على ما يقدّم للمتعلّم من معارف ومعلومات ومهارات، وعلى مايقوم به المتعلّم نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها وتحسينها باستمرار»[13] تتّجه نحو تتبع سيرورة العملية التّواصلية بين معلّم ومتعلّم من أجل تحقيق التعلّم والاكتساب، فالمتعلّم جوهر العملية التعليمية باعتباره محور العملية التعليمية ونجاحها مقتصر على ما يتلقاه المتعلّم من معارف ومعلومات، وما يقوم به من جهة أخرى. كما أنّها تعدّ «النّظام العلمي الذي يهتم بدراسة عناصر العملية التعليمية: الأستاذ، الطالب المادة التعليمية (الخطاب)، طرائق التعليم، والوسائل التعليمية »[14] وبتفاعل هذه العناصر(المعلّم ،المتعلّم والمحتوى التعليمي) تنتج العملية التّعليمية وتتحقّق الأهداف المنشودة منها، وبهذا تكون عملية تعليمية تواصلية بامتياز.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ العملية التعليمية عملية تفاعلية بالدرجة الأولى بين عنصرين رئيسين المعلّم (المرسِل) والمتعلّم (المرسَل إليه) قائمة على ما يقدّمه المعلم من معارف ومعلومات وكيفية استجابة المتعلم لها واكتسابها.

ثالثا: الخطاب التعليمي: Educational Discourse

الخطاب التعليمي عبارة عن سلسلة من الملفوظات اكتست طابع التعليمية «خطاب يتم فيه تحويل المادة العلمية إلى مادة (خطاب) ذات طابع تعليمي وهو أيضا خطاب يتكرر فيه خطاب الآخر، وهي ميزة خاصة بالعمل التربوي»[15]

وهو تلك «الرسالة التي يشترك في صنعها كل من المرسِل وهو الأستاذ أو الملقي، والمرسَل إليه وهو الطالب أو المتلقي وذلك مع استعمال أحدث الطرق والوسائل لإنجاح هذه العملية سواء كانت بصرية أوسمعية أو بصرية/سمعية»[16] ويتبين من خلال هذا التعريف أنّ الخطاب التعليمي يرتكز على ثنائية (أنا-أنت)، فالضمير "أنا" يتجسد في صورة المعلم والمرسِل، أمّا الضمير"أنت" فيتجسّد في صورة المتعلّم والمرسَل إليه.

ويقصد به في الوسط الجامعي «الإنتاج البحثي المعبّر عن جملة التصورات والتوجهات الفكرية التي تعبر عن رؤية طلبة الدراسات الجامعية كجماعة تربوية صاعدة في الجامعات الجزائرية حول الواقع التربوي، وهو عبارة عن جملة المعلومات والأفكار العلمية المنسقة في الخطاب يهدف إلى التعليم أوالقوانين واللوائح والتصريحات والتضمينات التي تشملها سياسات التعليم واستراتجياته»[17] أي أن الخطاب يعبر عن الواقع التربوي.

وكل خطاب تعليمي تداولي «هو ذلك الخطاب الذي يكتسي طابعا تداوليا يفترض وجود متكلّم ومخاطَب»[18] وعليه فالخطاب التعليمي مجموعة من المعلومات تهدف إلى التعليم ورسالة فاعلة بين المتكلم(المعلّم) والمتلقي(المتعلّم) بغية تفعيل الخطاب التفاعلي بينهما أثناء التكلم في الخطاب ويراعى في الخطاب التعليمي ملابسات وظروف إنتاج العملية التعليمية.

ولتحليل خطاب تعليمي لابد الأخذ بعين الاعتبار:[19]

1-طبيعة المتكلم الخاصة (إدخال عدد من الثوابت)، كطبيعة المتلقين (المستمعين)، عددهم، سنّهم، مستواهم، سلوكهم، التنظيم المادي، والسياسي، والاجتماعي الذي تتمّ فيه العلاقة التعليمية...الخ

2-باعتباره خطابا يمتثل للواجبات (القوانين) التالية: خطاب تعليمي (اعتبارات النوع)، يستعمل اللغة (اعتبارات موضوعاتية)

رابعا: المنهج التداولي في الخطاب التعليمي:

سيتم في هذا الجزء من البحث دراسة وتحليل نماذج من نصوص فهم المكتوب من كتاب القراءة للغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط وفق المقاربة التداولية، وذلك باستجلاء نظريات التداولية في الخطاب التعليمي ومعرفة مدى استخدامها.

1- الأفعال الكلامية: Verbal actions

يرى الدارسون واللغويون أن نظرية الأفعال الكلامية هي الركيزة الأساسية للتداولية، وهي التي«تدرس الأفعال التي تعبر عن فعل ولايحكم عليها بصدق أو كذب، وقد لاتصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تعبّر عن حقيقة واقعية، فهي تهدف إلى إرساء قواعد نظرية لأفعال الكلام من الأنماط

المجردة، أوالأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تنجز أثناء الكلام، فالمتكلم عندما يتحدّث يخبر عن شيء، أو يصرح بشيء، أو يأمر، أوينهى، أويلتمس، أويعد، أويشكر...»[20] ونستشف من هذا التعريف أنّ الأفعال الكلامية هي أفعال قابلة للإنجاز والتأثير في المتلقي كالقيام بأمر ما أو العدول عنه، كالأمر والنهي والشكر بغرض التأثير في المتلقي وتحقيق عملية التواصل.

وتنقسم الأفعال الكلامية إلى أسلوبين خبري وإنشائي:

أ- **الأسلوب الخبري**: ويقصد به«الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية»[21] وهو الخبر الذي ينقله المتلقي للقارئ ويقابله الفعل التقريري ولا يمكن الحكم عليه بالصدق أوالكذب، ومثال ذلك في:[22]

-إنّ أباك قد فنيَ وهو حيّ.

-فإنّ لك أجلا لايعدوك.

وهذا المثال مأخوذ من نص وصيّة أب (**ذو الأصبع العدواني**) تركها لابنه (**أسيدا**) عندما اقترب أجله وأراد إخباره بأنّه ضعفت قوّته، وقارب موته، فاستعمل مؤكّدات على قرب موته، وهي أداة التوكيد **"إنّ"**، توحي بأنّ الأب على وشك الموت.

ب- الأسلوب الإنشائي: وهو«الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية»[23] والأسلوب الإنشائي أنواع منها: ما هو طلبي كالأمر، الاستفهام، النّداء والنهي، التعجب، ومنها ما هو غير طلبي كالمدح والذم. نأخذ نموذج عن النداء فيما يلي:

وقد افتتح ذو الأصبع العدواني وصيّته بالنّداء في قوله:

«يابنيّ، إنّ أباك قد فني وهو حيّ»[24] والنّداء«ليس وسيلة تواصلية فحسب، وإنّما يكون للتعبير عن المشاعر والأفكار ذلك أنّه قد يخرج النداء عن غرضه الحقيقي أي الفعل الكلامي المباشر إلى أغراض بلاغية تستفاد من السياق، ويسمى حينئذ فعل كلامي غير مباشر»[25] والغرض من النّداء هنا لفت الانتباه.

ومن هنا نلمس أن الخطاب التعليمي يحمل في طياته أساليب خبرية وإنشائية، ولا يمكنه أن يخلو منها، وذلك مرتبط بطبيعة الخطاب، فالنهي يعبر عن الابتعاد عن الشيء والشكر يعبر عن الامتنان والاعتذار يعبر عن الندم....ومنها ما يؤكد الخبر بأدوات التوكيد كإنّ، أنّ...، والتمييز بينهما يعود إلى دور الأستاذ في سياق الخطاب التعليمي.

وهناك ثلاثة أنواع من أفعال الكلام :[26]

- **فعل قولي**: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي) واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

- **فعل إنجازي(القول الفاعل)**: يحصل بالتعبيرعن قصد المتكلم من أدائه:يعدّ، يخبر، يعجب، ينذر، ويشمل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي).

- **فعل تأثيري(استلزامي):** يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه،كأن (يرعبه،يجعله،ينفعل..) ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية.

فالفعل القولي يراد به توظيف الألفاظ في جمل مفيدة، ويبرز الفعل القولي في الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية؛ فالخبرية يقصد بالخبر الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب فإن كان مطابقا للواقع فهو صادق وإن كان مخالفا له فهو كلام كاذب، أمّا الإنشائية فيقصد بها الأفعال التي لاتخبر ولاتحتكم لمعيار الصدق أوالكذب بل تخضع إلى أغراض وأساليب (التعجب، الاستفهام، الأمر...)، والفعل الإنجازي هو الفعل المتضمن في القول أي المعنى الذي يؤدّيه اللفظ، والآثار التي ينجزها الكلام، أمّا الفعل التّأثيري فهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي.

ومن أمثلة ذلك من كتاب السنة الثانية من التعليم المتوسط:

«فقالت نورة على الفور:"إذن قومي ياأمّي..قومي". وقامت الأمّ فقالت لها الفتاة: "اخلعي ثوبك هذا" وبهتت الأمّ وكادت ترفض، لولا أن بدأ سيل القبلات ينهمر عودا على بدءٍ، ويعمل عمله المعجِزَ»[27]

1- **فعل القول:** وهو التلفظ بالكلمات والجمل:إذن قومي ياأمي..قومي.

2- **فعل الإسناد:** وهو عبارة عن علاقة بين المرسِل والمرسَل إليه؛ أي إسناد معنى القول إلى الطرف الآخر، "أنتِ" قومي ياأمّي..قومي، حيث تمّ إسناد الفعل"قومي" إلى المفرد المخاطب(الأمّ).

3- **فعل الإنشاء:** ويتحقق فعل الإنشاء حسب قصد الكلام كالأمر، والنهي، والنصيحة، وهنا كان القصد من الكلام أمر البنت "نورة" أمّها بالقيام.

4- **فعل التأثير:** ويتوقف ذلك على ما ينجزه الكلام ويؤثّر في المتلقي، وفي ذلك "وبهتت الأمّ وكادت ترفض، لولا أن بدأ سيل القبلات ينهمر عودا على بدءٍ، ويعمل عمله المعجِزَ"

فاللغة لم تعد وسيلة تواصل فقط بل وسيلة تأثير في السياق، وهذا ما تجلى لنا أثناء تحليل الأفعال الكلامية، فهي أفعال تقريرية قابلة للإنجاز، كما يمكننا تلخيص ذلك في تحليل القول الآتي: "**إن لم تنجح سأغادرك**"؛ ففعل الكلام هنا هو التلفظ بهذه الجملة في حدّ ذاتها، أما فعل الإسناد وهو إسناد الفعل تنجح إلى الضمير المخاطب "أنت"، وأما الفعل الإنشائي فيتمثل في التهديد أوالتحذير، في حين أنّ الفعل التّأثيري يتعلق بالذعر أوالخوف أو الإلحاح على النجاح...

إنّ استثمار الأفعال الكلامية في الخطاب التعليمي يجعل المتعلم يميز بين الأفعال التقريرية والإنجازية والتأثيرية وهذا يساعده على الفهم والاستيعاب.

2- **الاستلزام الحواري:** Dialogue Obligation

تعود إرهاصاته إلى الفيلسوف (**بول غرايس**) من خلال محاضراته التي درسها بجامعة هارفرد، والاستلزام الحواري أحد جوانب الدرس التداولي، ويقصد به «المعنى المستفاد من السياق، ويعدّ من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويعنى أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية،

وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظي»[28] ويفهم من ذلك أن العبارات في الاستلزام الحواري تحمل معاني منها ماهي صريحة ومنها ماهي ضمنية تفهم من خلال السياق والتأويل؛ فالمعاني الصريحة هي ماتلفظ بها المتكلم من عبارات حرفية والضمنية هي المعاني غير المباشرة وما أراد المتكلم توصيله إلى السّامع، ويقوم مبدأ التعاون على أربع مسلمات maximes:[29]

أ- اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من ⟵ الإخبار مسلمة القدر Quantité(الكمية)

ب- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه ⟵ مسلمة الكيف Qualité(الكيفية)

ج- لتكن مشاركتك ملائمة ⟵ مسلمة الملاءمة Pertinence

د- ابتعد عن اللّبس، تحرّ الإيجاز، تحرّ الترتيب⟵ مسلمة الجهة modalité

ويقوم مبدأ التعاون على هذه المسلمات؛ وتتجسّد في مشاركة المتكلمين التبادل الخطابي مع مراعاة كمية المعلومات ونوعيتها ومدى ملاءمتها بعيدا عن اللبس والإبهام، واتباع أطراف الخطاب هذه المسلمات يؤدي إلى تحقيق التّعاون بين أطراف الحوار.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تمّ خرق إحدى القواعد الأربع السابقة، فمثلا لدينا الحوار الآتي بين المعلم(أ) والمتعلم(ب):

المعلّم: هل أنجزت واجباتك اليوم؟

المتعلّم: أحضرتُ الكتاب المدرسي وكراس الدرس.

من خلال المثال يتضح أنه استلزام حواري تمّ فيه خرق قاعدة الملاءمة، وهناك تغيّر في الألفاظ والصياغة في القول الثاني، فعلى المتلقي أن يفهم قصدية المتكلم من خلال سياق الخطاب التعليمي ويحمل هذا الاستلزام حمولة دلالية فحواها أنّ المتعلم لم يقم بإنجاز واجباته، وبذلك فالاستلزام الحواري يفهم من خلال السياق الذي قيل فيه الخطاب.

ويمكن أن نأخذ نموذجا للاستلزام الحواري من نص "سهرة عائلية" من كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط:

« أذكر أنّ منظر جوزة بيضاء قشرتها ناصعة، استهواه ذات ليلة فأصرّ على أن يكسرها بنفسه، وكم كانت دهشته ودهشتنا كبيرة عندما وجد بداخلها كتلة سوداء لاتشبه لبّ الجوز...هذه الجوزة مثل المنافق»[30]

توجد عبارات لاتدل مباشرة على المعنى المقصود الذي يقصده المتكلم، بل تحمل معاني ومقاصد ضمنية تفهم وتؤوّل من خلال السياق، فمثلا: عبارة "هذه الجوزة مثل المنافق" تستلزم حواريا أن لانحكم على مظهر الإنسان وشكله الخارجي، وإنّما لابدّ أن نكتشف سلوكه وأخلاقه حتى نحكم عليه وهذا ما أراد الكاتب أن يوصله للقارئ عن طريق تشبيه الجوزة بالمنافق.

3- الحجاج: Pilgrims

يعدّ الحجاج شكلا من أشكال التواصل والخطاب ومن أهمّ مرتكزات التحليل التداولي؛ لأنه«يستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا، وهذا معيار أول لتحقق السّمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألاّ تهمل طبيعة السّامع (أوالمتقبّل) المستهدف.فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه»[31] ولهذا فالحجاج تقنية من تقنيات الخطاب، ويتجلى ذلك في الخطاب التعليمي عندما يحاول المعلّم (المرسِل، المخاطِب) إقناع المتعلم والتأثير فيه (المرسَل إليه المتلقي) بوساطة تقنيات وروابط حجاجية منها روابط النتيجة (إذا، لهذا السبب، إذن...)، وأدوات التّعارض (لكن، غيرأنّ، بينما...)، أدوات التوكيد(إنّ، أنّ...)، فيقوم المعلم بتبليغ أفكاره والتّأثير في السامع، ولهذا عدّ الخطاب إقناعيا، وعندما يحصل وينتج الإقناع يكون قد اتّخذ الخطاب التعليمي بعدا حجاجيا من خلال التأثير في السامع.

انطلاقا من هذه الروابط التي توضح بأن الخطاب إقناعي يمكننا التمثيل للخطاب التعليمي بالنموذج التالي:

«وإذا غلبته الشهوة، وكان-لامحالة- منقادا للّذة، فليقف دون الشّبع،...وبذلك يكون قد عدل بين أصول الحياة...غير أنّ الإنسان إذا كان هكذا...»[32]

فنجد:

-المتكلم (الكاتب)

- المتلقي (القارئ)

-الروابط الحاجية: (وإذا – بذلك – غير أنّ)

-بعض الجمل التفسيرية استعملها الكاتب لكي يفسر لنا عملية النظام الغذائي.

4- الإشاريات: Signals

وللإشاريات حمولة دلالية لا يمكن فهمها بمعزل عن سياق تداولها، لأنها عبارة عن«علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدّد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى»[33] فنجد الإشاريات الشخصية في الضمائر التي لا يتحدّد معناها إلا بالرجوع إلى السياق الذي وردت فيه، والضمائر أنواع منها: أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، ضمائر المتكلم والمخاطب والجمع...

ونجد في الخطاب التعليمي غلبة ضمير المتكلم (المعلّم، المخاطِب) مقابل ضمير المخاطَب (أنت، أنتم) من خلال مخاطبة المتلقي (المتعلّم، المخاطَب)، وبهذا يكون صاحب الخطاب التعليمي هو المتلفظ مثل: "أيها التلاميذ، هل أنجزتم واجباتكم اليوم، سوف نشرع في مقطع تعليمي آخر وأكلّفكم بالتحضير"

فنجد الضمائر الواردة هنا ضمير المخاطب (أنتم)، ضمير المتكلم (نحن)، أمّا الإشاريات الزمانية فهي ما تدل على زمن التكلم وتتحدّد حسب السياق الذي ترد فيه ونجد بعض الكلمات الزمانية: (أمس، الليلة، صباحا، مساء...)، كما نجد الإشاريات المكانية التي تدل على المكان الذي يعرف به مكان تكلّم المتكلّم.

والإشاريات أنواع منها:

أ-الإشاريات الشخصية: وتتمثل في الضمائر التي تحيل إلى الشخص أوالمتكلم مثل "أنا، نحن" أي الذين شاركوا في عملية التواصل

ب-الإشاريات الزمانية: وهي مايدل على الزمان، ويحدّد ذلك السياق زمان المتكلم وقت التكلم، ومن العبارات التي تدل على الزمان نجد اليوم، مساء، الأمس...

ج-**الإشاريات المكانية**: وهي ما يدلّ على المكان، ويحدّد ذلك السياق مكان المتكلم وقت التكلم.

ويمكن أن نستحضر ذلك في:

« كان تحلّقنا حول أبي في السهرة حول المدفأة هي الفترة الوحيدة التي نجتمع فيها إليه، فنحن لم نكن نأكل معه، لأنّ إصابته بداء السكّر منذ سنوات شبابه كانت تفرض عليه نظاما خاصا للأكل ومن هنا كان يتجنّب الجلوس إلى مائدتنا خشية أن تمتدّ يده للمحرّمات عليه بسبب المرض»[34]

ونجد في هذا المقتطف من النص:

الضمائر الشخصية تتمثل في الكلمات (تحلّقنا – نجتمع – نأكل) تحيل إلى الضمير " نحن"والمتكلم هنا هو "الكاتب" الذي يتحدث بصفة الجماعة، كما نجد زمن التكلم هنا هو في "الليل" في فصل الشتاء، فالكاتب لم يصرّح به ولكن أشار إليه من خلال عبارة " كان تحلّقنا حول أبي في السّهرة حول المدفأة"، كما يظهر من خلال النص بما أنّ الكاتب وعائلته مجتمعين في السّهرة فالمكان هنا هو البيت.

4- الافتراض المسبق: Presupposition

إن كل عملية تعليمية قائمة على افتراض سابق، دون التصريح به ففي الخطاب التعليمي لا يمكن أن يكتسبه المتعلم دون وجود مرجعيات سابقة، ويتبين ذلك من خلال التقويم التشخيصي في بداية النشاط التعليمي عن طريق التغذية الراجعة أو بما يسمّى استرجاع المكتسبات السابقة حتى يستطيع المتعلم من اكتساب معلومات جديدة، وذلك لنجاح عملية التواصل والتبليغ، وقد عرّف **مسعود صحراوي** الافتراض المسبق في كتابه "**التداولية عند العلماء العرب**" بأنه:«في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة ، ففي الملفوظ (1)،مثلا:

(1)- أغلق النافذة.

وفي الملفوظ(2):

(2)- لاتغلق النافذة.

في الملفوظين كليهما خلفية "افتراض مسبق"مضمونها أن النافذة مفتوحة »[35]

ويرى التداوليون بأن الافتراض المسبق له أهمية كبرى خاصة في مجال التعليمية؛ لأن الافتراضات المسبقة«ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ؛ ففي التعليميات Didactique، تمّ الاعتراف بدور"الافتراضات المسبقة" منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه»[36]

وفي الخطاب التعليمي مثلا أعطني قلما، الافتراض السابق القلم موجود وهنا يحضر المتلقي القلم مع قدرة المتكلم على إحضاره.

ونستدل بذلك في هذا النموذج : عندما أرادت الطفلة نورة تقديم هدية لأمّها وذلك في قول الكاتب:« وكانت تحمل في يدها شيئا ملفّفا ليس بالصغير، ودنت من أمّها في إشراق، وقبلتها، ثمّ قالت لها في إلحاح:" عديني أن تجيبيني إلى طلبي يا أمّاه!" فابتسمت الأم وقالت:"أريد أن أعرف أوّلا هذا الطلب". فقبّلتها "نورة" قبلة طويلة، وقالت:"بل عديني قبل أن تعرفي! »[37]

يتبين من هذه الفقرة أوالحوار الذي جرى بين نورة وأمّها في دلالة معنى العبارة" عديني أن تجيبيني إلى طلبي ياأماه" يستدرج إجابة المتعلم بأن نورة تريد طلبا من أمّها أي توجد علاقة بين المتكلم والمتلقي وقائمة على افتراض سابق وهو أن البنت نورة تريد تقديم هدية لأمها، لكن نفترض أن البنت نورة تريد تقديم الهدية لامرأة أخرى، فستجيبها بإحدى العبارات الآتية:

-من أنت؟ أنا لاأعرفك!

- ولماذا أعدك ؟

وعليه فالافتراض المسبق ضروري لإنجاح عملية التبليغ والتواصل بين المتكلم والمتلقي.

خاتمة:

نجد من خلال ما توصّلنا إليه أنّ الخطاب التعليمي لايخلو من آليات التحليل التداولي؛ لأنه قائم على تعليم المتعلم بحجج مقنعة وأفعال قابلة للإنجاز...وذلك بغرض التواصل التربوي، ومن أجل ذلك حاولنا الكشف عن تجليات هذه الآليات لتحقيق الأهداف المنشودة من خلال الخطاب التعليمي التي عملت على فهم المتلقي واستيعابه، وما توصلنا إليه:

- تداخل وتقاطع التداولية مع مختلف التخصصات (علم النفس، اللسانيات، التعليمية ....) وذلك لكثرة تشعب هذا العلم وتغلغله في شتى المجالات ومن أهمها التعليمية الذي ساهم في معالجة الخطاب التعليمي وتحليله.
- أسهمت آليات التحليل التداولي في اكتشاف مضامين الخطاب التعليمي وتفكيك شفراته وأبعاده النصية، من خلال أفعال الكلام (توظيف اللغة للتعبير عن نفسه كالأساليب الخبرية والإنشائية التي

تعين المتعلم على التعبير عن المعاني التي يقصدها)، الحجاج (إغناء اللغة بالحجج الكافية مما تسهّل عملية التواصل التربوي بين المتعلّم والمعلّم)،الاستلزام الحواري (إدراك مقاصد المتكلم الضمنية)، الافتراض المسبق (يدرك العلاقات السابقة ومناسبة الكلام)، الإشاريات (إزالة الإبهام عن الملفوظات بالإشارة إلى ماتحيل إليه) التي أدّت إلى عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي.

- من خلال مقاربتنا للخطاب التعليمي توصلنا إلى أنّ كل الخطابات التربوية تداولية، وهذا ماسهل عملية التواصل بين المتكلم (المعلم) والمتلقي (المتعلم).
- وهدفنا من هذه الدراسة هو التعرف على الخطاب التعليمي التداولي وكيفية توظيف هذه الآليات التداولية والهدف من ذلك.
- توظيف المنهج التداولي في الخطابات التعليمية أكسبت المتعلم كفاءات تبليغية وتواصلية يتم عن طريقها التواصل مع المعلم التي أعانته على فهم الخطاب ومقاصده.

وما يمكن أن نقترحه في هذا البحث مايلي:

- لابدّ من اعتماد آليات التحليل التداولي في الكتب المدرسية في جميع الأطوار؛ لأنها تعمل على مساعدة المتعلم من فهم مقاصد المتكلم وتحليل النصوص وفهمها واستيعابها.
- الحرص على مطالبة المتعلمين بتوظيف هذه المكتسبات في إنتاجهم الشفهي والكتابي.

هوامش:

[1] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (2002)، دار المعرفة الجامعية(الإسكندرية)، ص9

[2] فرانسواز أرمينكو: تر:سعيد علوش، المقاربة التداولية، (1986)، مركز الإنماء القومي(الرباط)، ص6

[3] تون أ. فان دايك: تر:سعيد حسن بحيري، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، (2001)، دار القاهرة للكتاب(القاهرة)، ط1، ص114

[4] نقلا عن تون أ. فان دايك: تر:سعيد حسن بحيري، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص4

[5] بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، (2010)، شمس للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، ص18.

[6] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، (بيروت)، ص16

[7] فليب بلانشيه تر: صابر الحباشة: التداولية من أوستن إلى غوفمان، (2007)، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، ص18

[8] نقلا عن فرانسواز أرمينكو تر:سعيد علوش، المقاربة التداولية، ص4

[9] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14

[10] رشيد فلكاوي: "تعليمية اللغة العربية بين النظرية والتطبيق"، "مجلة الآداب"، العدد14، ص55

[11] المرجع نفسه، ص56
[12] نوارة بوعياد: "دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية"، 2001، "إنسانيات"، المجلد15، العدد14، ص130
[13] آمنة متّاع: "أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي على ضوء اللسانيات الحديثة"، 2014، "مجلة الواحات للبحوث والدراسات"، المجلد 7، العدد 2، ص594
[14] ياسين فرفوري: "إسهامات اللسانيات التداولية في تعليمية الخطاب الجامعي"، 2020، "مجلة لغة كلام"، المجلد6، العدد3 ص76
[15] نوارة بوعياد: "دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية"، ص132
[16] بوعلامات لعرج: "آليات الخطاب التعليمي التفاعلي ووسائله"، 2015، "الخطاب والتواصل"، العدد الأول، ص271
[17] حيزية كروش: "الخطاب التعليمي التداولي بين المعلم والمتعلم"، 2014، "التعليمية"، ص80
[18] ياسين فرفوري: "إسهامات اللسانيات التداولية في تعليمية الخطاب الجامعي"، ص76
[19] ينظر نوارة بوعياد: "دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية"، ص129
[20] محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية، (2013)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص96
[21] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص81
[22] ينظر ميلود غرمول: اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، (2017)، أوراس للنشر(الجزائر)، ص72
[23] المرجع نفسه، ص82
[24] ميلود غرمول، اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص72
[25] خيرة عمامرة: "البعد التداولي في الخطاب الصوفي،كتاب الوصايا لابن عربي نموذجا"، 2015، "مجلة المخبر"، العدد الحادي عشر، ص459
[26] ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1 ص97
[27] ميلود غرمول: اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص17
[28] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص86
[29] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص33
[30] ميلود غرمول، اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص12
[31] صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، (2008)، صفحات للدراسات والنشر(دمشق)، ص20
[32] ميلود غرمول، اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص152
[33] جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها،(2016)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع(عمان)، ط1، ص76
[34] ميلود غرمول، اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص12
[35] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص31
[36] المرجع نفسه، ص32
[37] ميلود غرمول، اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص17

قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1- بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، (2010)، شمس للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1.
2- تون أ. فان دايك: تر:سعيد حسن بحيري، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: (2001)، دار القاهرة للكتاب(القاهرة)، ط1، ص114
3- جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها: (2016)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع(عمان)، ط1.
4- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1.
5- صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص: (2008)، صفحات للدراسات والنشر(دمشق).
6- فرانسواز أرمينكو: تر:سعيد علوش، المقاربة التداولية: (1986)، مركز الإنماء القومي(الرباط).
7- فليب بلانشيه تر: صابر الحباشة: التداولية من أوستن إلى غوفمان: (2007)، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1.
8- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: (2002)، دار المعرفة الجامعية(الإسكندرية).
9- محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية: (2013)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1.
10-ميلود غرمول: اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط: (2017)، أوراس للنشر(الجزائر)
11- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: دار الطليعة، (بيروت).

- **المقالات:**

1- آمنة منّاع: "أقطاب المثلث الديداكتيكي في التراث العربي على ضوء اللسانيات الحديثة": 2014، مجلة "الواحات للبحوث والدراسات" ،المجلد 7، العدد 2.
2- بوعلامات لعرج: "آليات الخطاب التعليمي التفاعلي ووسائله": 2015، "الخطاب والتواصل"، العدد الأول.
3- حيزية كروش: "الخطاب التعليمي التداولي بين المعلم والمتعلم": 2014، "التعليمية".
4- خيرة عامرة: "البعد التداولي في الخطاب الصوفي"،كتاب الوصايا لابن عربي نموذجا: 2015، مجلة "المخبر"، العدد الحادي عشر.
5- رشيد فلكاوي: "تعليمية اللغة العربية بين النظرية والتطبيق": مجلة "الآداب"، العدد14.
6- نوارة بوعياد: "دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية": 2001، "إنسانيات" المجلد15 العدد14
7- ياسين فرفوري: "إسهامات اللسانيات التداولية في تعليمية الخطاب الجامعي": 2020، مجلة "لغة كلام"، المجلد6، العدد3.